فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربى)
محكمة عليها
السنة الثالثة، المسلسل الجديد، العدد الخامس، خريف ۱۳۹۰

عزّ الدين المناصرة: شاعر الحبّ و المقاومة*

الدكتور حسين كيانى
أستاذ مساعد فى جامعة شيراز
الدكتور سيّد فضل الله ميرقادرى
أستاذ مشارک فى جامعة شيراز

الملخّص

عزّالدين المناصرة شاعرٌ فلسطينى (يقيم فى الأردن)، وهو من أهم شعراء الستينات فى حركة الشعر العربى الحديث، ساهم فى إشباع الحداثة الشعرية، خصوصاً فى: فلسطين والأردن ولبنان ومصر وتونس والجزائر، بشكل مباشر، حيث أثَّر فيها، وتأثَّر بها. وهو (شاعر عالمى) إلى حدٍّ ما، كما عرفته الأوساط الثقافية بإيران، منذ ترجمة مختارات من شعره بعنوان: (صبر أيّوب، ۱۹۹۶). وبالرغم من أنَّ شعر المناصرة، حظى بدراسات كثيرة، إلاَّ أنَّ ثمَّة مناطق جمالية كثيرة، ما تزال بحاجة إلى بحث وتحليل. ويهدف هذا البحث إلى دراسة كيفية الجمع بين الحداثة والمقاومة الشعرية، كيفية التأليف بين المقاومة الشعرية والحب فى شعره. وبعد التأمل (إلى حدٍّ ما) فى بعض قصائد الشاعر، تبين أنه شاعرٌ يصوغ تجربة الفلسطينى الجائع للحب والحرية، وهو ذو نَفَس ملحمى، متجذر فى التاريخ، حيث استخدم (التوقيعة الشعرية) فى ذلک المجال، بتركيز العبارة، وتكثيف الفكرة بألفاظ قليلة. وقد ألَّف بين الحب والمقاومة، فهو يتأرجح بين الحب والسيف، ويجمع بين الحداثة، والمقاومة الشعرية.

الكلمات الدليلية

عزّ الدين المناصرة، شعر المقاومة، فلسطين، الحب، الحداثة.

---

* – تاريخ الوصول : ۱۳۸۹/۱۰/۱۵ تاريخ القبول:۱۳۹۰/۰۵/۲۰
عنوان بريد الكاتب الإلكترونى: hkyanee@yahoo.com

Archive of SID
www.SID.ir

۱- مقدمة

- تُعدُّ تجربة المقاومة فی الشعر، من أهم محاور الأدب العالمی منذ القدم، وقد عرف العرب، أدب المقاومة، منذ أن عرف العرب الأدب، ولعلَّ المقاومة كانت أحد حوافز الشعر العربی القديم، فقد كان الشاعر العربی القديم، لسان قومه فی تسجيل مآثرهم، والدفاع عنهم، فقد اشتهر (شعر الحماسة) فی الجاهلية، وقرضَهُ شعراء الإسلام – (السّموری، ۲۰۰۶: divnalarab.com)، وتبعهم الشعراء الأمويون والعبَّاسيون فی شعرهم الجهادی. وظهر شعر المقاومة بوضوح فی أدب العصور المتتابعة، خصوصاً فی فترات الاحتلال الفرنجی (الحروب الصليبية)، كذلک فی مواجهة الاحتلال المغولی، فكانت القصائد تدعو إلی الجهاد. أما فی العصر الحديث، فقد ظهر شعر المقاومة الفلسطينی، ضدّ الاحتلال البريطانی، وضد الحركة الصهيونية، منذ عام ۱۹۲۰، بعد (وعد بلفور)، ومع (ثورة عام ۱۹۳۶ بفلسطين)، ومع ثورة البراق عام ۱۹۲۹، (**راجع: أبو سليمان، ۱۳۷۶: ۲۷، ۳۹**). وظهر قبل عام ۱۹۴۸، شعراء مقاومة من أمثال: **إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود** وأبو سلمی. وظهر فی الخمسينات: **يوسف الخطيب، معين بسيسو، هارون هاشم رشيد و فدوی طوقان.** لكنَّ **شعراء الستينات**، هم من أبرز فكرة المقاومة الشعرية الحداثية، فی الشعر العربی الحديث، ومنهم شعراء كبار، مثل: **نزار قبانی** (سوريا)، **محمود درويش** (فلسطين)، **عز الدين المناصرة** (فلسطين)، **سميح القاسم** (فلسطين)، **أمل دنقل** (مصر)و غيرهم (أم لُجين، ۲۰۰۹: paldf. Net).

حركة الشعر العربی الحديث فی فلسطين كما تكشفت عنها تجربة كلٍّ من محمود درويش و عزالدين المناصرة غنية و متنوعة و تستوعب اتجاهات و اشكالاً شعرية متعددة. فهما (أی المناصرة و درويش) يشكلان حالة شعرية ناضجة متطورة باستمرار و قد ارتقيا بالقصيدة العربية إلی آفاق متقدّمة.(مجموعة من المؤلفين، ۲۰۰۳: ۱۸۲)

إن صعوبة التعرض لشعر المناصرة بالدراسة و النقد، تأتی من كونه متخصصاً ذا دراسات أكاديمية فی مجال النقد الأدبی، فذاک العلم عصمة للشاعر من الزلل و مصباح يهدی خطاه و يسدد قلمه و من هنا كان تطبيقيه لكثير من التقنيات الحديثة الشعرية مصحوباً بوعی عميق لتناول النقاد لتلک التقنيات عبر أشعار الآخرين(عبيد الله،۲۰۰۶: ۲۴۹).

لقد اهتمَّ نقادٌ عربٌ وأجانب بشعر (عز الدين المناصرة)، منهم: فيصل القصيری (العراق) فی كتابه: (بنية القصيدة فی شعر المناصرة)، محمد بودويک فی كتابه: (شعر المناصرة: بنياته، إبدالاته، وبعده الرعوی)، و رُقية رستم بور ملكی (إيران) فی بحثها: (قناع امرئ القيس فی شعر المناصرة)، وحفناوی بعلی فی بحثه: (شعرية التوقيعة فی شعر المناصرة)، بل صدر ما يقرب من عشرين كتاباً عن تجربة المناصرة الشعرية. وترجمت

Archive of SID

www.SID.ir

أشعاره إلی اللغات: الفارسیة، الهولاندیة، الإنجلیزیة، الفرنسیة، الألمانیة، البلغاریة، السویدیة، الترکیة وغیرها.

ولد (المناصرة)، بتاریخ ۱۹۴۶/۴/۱۱ فی محافظة مدینة «الخلیل» بفلسطین. درس اللغة العربیة والعلوم الإسلامیة، بکلیة دار العلوم، جامعة القاهرة، وتخرَّج فیها عام ۱۹۶۸. حصل لاحقاً علی درجة الدکتوراه فی جامعة صوفیا البلغاریة فی الأدب المقارن، والنقد الحدیث عام ۱۹۸۱. وحصل علی رتبة الأستاذیة فی جامعة فیلادلفیا الأردنیة عام ۲۰۰۵. عمل أستاذاً فی جامعة قسنطینه الجزائریة منذ عام ۱۹۸۳. ثمَّ فی جامعة تلمسان الجزائریة. ثمَّ فی جامعة القدس المفتوحة، کما عمل عمیداً لکلیة العلوم التربویة (الأونرا) بعمَّان. ویعمل منذ ۱۹۹۵، أستاذاً بجامعة فیلادلفیا. نشر قصائده منذ عام ۱۹۶۲. وصدرت له الأعمال الشعریة التالیة: یا عنب الخلیل (۱۹۶۸)، مذکرات البحر المیت (۱۹۶۹)، الخروج من البحر المیت (۱۹۶۹)، قمر جَرَش کان حزیناً (۱۹۷۴)، بالأخضر کفَّناه (۱۹۷۶)، جفرا (۱۹۸۱)، کنعانیاذا، (۱۹۸۳). حیزیَّة، (۱۹۹۰)، رعویّات کنعانیة،(۱۹۹۲)، لا أثق بطائر الوقواق، (۲۰۰۰) ولا سقف للسماء، (۲۰۰۹).(راجع:البابطین،۲۰۰۲: ۶۰۰و السکوت،۲۰۰۹: ۳۶۶ و عبید الله،۲۰۰۶: ۱۲۸)

و الأسئلة التی تطرح نفسها فی هذه المقالة هی:

۱- ما هی مکانة عزّالدین المناصرة فی أدب المقاومة؟

۲- کیف جمع المناصرة بین الحداثة و المقاومة الشعریة؟

۳- کیف ألّف الشاعر بین المقاومة و الحبّ فی شعره؟

و الإجابة علیهاتقتضی الوقوف علی بعض نماذج من شعر الشاعر و کلام الباحثین بالتحلیل و المناقشة و الاستنتاج.

۲- عز الدین المناصرة وشعر المقاومة

لا یحتاج الشاعر الفلسطینی عزّ الدین المناصرة إلی تقدیم، بعد ما قدمتهُ أشعاره للوطن العربی والأجنبی و بعد ما قدّمتْهُ مواقفُهُ النضالیّة مِنْ أجلِ وطنهِ فلسطین. لهُ من المجموعات الشعریّة ما یضعُهُ فی مقدمة شعراء جیله فی مجال أدب المقاومة، وفی مجال الحداثة.

یتوقف الشاعر عز الدین المناصرة أمام (شعر المقاومة) فی غیر مقالة، ویبدی رأیه فی النقد الذی تناول هذا الشعر. ومما یراه أن هذا النقد کان نقداً إعلامیاً یرکز علی ما یحیط بالنص أکثر من ترکیزه علی النص نفسه. ولهذا لا یعجب المناصرة بهذا النقد، ویطالب النقاد بنقد نصّی.

Archive of SID

www.SID.ir

ولا يعجب المناصرة فى كتابه «جمرة النص الشعرى» بالنقاد العرب، فتحت عنوان «إشكالية النقد العربى الحديث» ثمة عنوان فرعى آخر هو: «لا يقرأون النصوص، وإنما يقرأون الشخوص» (المناصرة، ۲۰۰۲: ۲۹۵)، وتحت العناوين يناقش النقد العربى منذ الخمسينيات حتى أول الثمانينات، ويخلص المناصرة إلى أنه نقد«كان يركز على كل ما هو خارج النص من علوم إنسانية....» (نفس المصدر:۲۹۶)، ولهذا لم يعد، كما يقول، يكترث للفكر النقدى، لأنه يفتقد للصدقية. «أقول هذا بعد أن قرأتُ كل هذا النقد الفكرى بكافة اتجاهاته. لقد وصلت إلى حافة اليأس من النقاد العرب، فالمعرفة لديهم مكرورة ومترجمة وليست لهم». (نفس المصدر:۲۹۹).

وهو يرى أن نقد الشاعر للشعر هو أفضل أنواع النقد، لأن هناک أسراراً فى النص الشعرى لا تخفى على الشاعر، وعليه نجده يكتب بعض المقالات النقدية لنصوص بعض الشعراء.

وفى مقال آخر عنوانه «الحداثة الشعرية الفلسطينية: نقد انطباعى بلا معرفة ونقد بنيوى بلا ذوق» يرى أن القصيدة الفلسطينية التى كتبت يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع قصيدة الأونروا، وقصيدة المقاومة، وقصيدة العولمة. (نفس المصدر: ۲۸-۵۱).

يرفض المناصرة، ابتداءً، حصر هذا الشعر فى منطقة الشمال الفلسطينى (درويش، القاسم، زياد) كما أنه يرفض أيضاً إدراج الشعراء كلهم فى كفة واحدة. ويدعو المناصرة إلى تفكيک أسباب شهرة (محمود درويش)، كما أن المناصرة يرفض مراراً، وبإصرار، فكرة **الشاعر الأوحد**: «إن فكرة البحث عن الشاعر الأكبر الأوحد والشاعرين الأوحدين لشعب بكامله ينقص من قيمة ثقافة هذا الشعب، بدلاً من البحث عن العلامات المركزية فى الشعر الفلسطينى الحديث». (نفس المصدر: ۲۹۸). وإذا كان يرفض حصر شعر المقاومة فى شعر الشمال الفلسطينى، فإنه يرفض أيضاً أن يكون الشعر المقاوم هو الذى كتبه شعراء شيوعيون فقط. «كما لا يوافق على فكرة الترويج والدعاية والاعتراف بالمقاومة الشعرية الشيوعية الوطنية، ونفى ذلک عن المقاومة الشعرية الوطنية الثورية، وهو يرى أنها: مفارقة عجيبة أيضاً». (نفس المصدر:۳۹).

ويتوقف المناصرة توقفاً عابراً أمام أبرز الدراسات العربية التى تناولت شعراء المقاومة، ويبدى رأيه فى منهج أصحابها،«حيث يرى أنَّ النقد وقع فى الخلط بين السيرة الذاتية للشاعر (المقاومة) و بين نصوص الشاعر (درجة الشاعرية) كما فعل غسان كنفانى، يوسف الخطيب ، رجاء النقاش ، غالى شكرى وعبد الرحمن ياغى. نجد أنّ كنفانى والنقاش ساهما فى «الشرح الإنشائى للإديولوجيا». أما «الخطيب القومى و شكرى اليسارى، فقد حاورا الإديولوجيا، والشخوص، ولم يحاورا النصوص».

Archive of SID

www.SID.ir

طبعاً علینا ألا ننسی أن کتاب المناصرة صدر فی العام ۱۹۹۵، وضم مقالات و دراسات صدرت قبل العام ۱۹۹۵ تقریباً. و بعد العام ۱۹۹۵، صدرت دراسات عدیدة التفت أصحابها إلی النصوص، و درسوها وفق مناهج أخذت تشیع فی النقد الأدبی فی العالم العربی شیوعاً لافتاً. وإن کان هذا لا یعنی أن هناک کتباً أنجزت قبل العام ۱۹۹۵، رکز أصحابها فیها علی النصوص.

۳- عز الدین المناصرة والحداثة الشعریة

یُعدّ المناصرة شاعراً متمکّناً إلی حدّ کبیر من الظواهر الفنّیة فی التُراث الشعریّ نظراً لصلته الجدیدة بهذا التراث، و هو إذ یسعی إلی تشیید عمارتها الشعریّة علی أساس الحداثة. فإنّه لا ینفصلُ کلیّاً عن ما فی هذا التراث مِنْ غنی وثراء فی مادّته الشعریة. و الحداثة بادیة فی کلّ جوانب شعر المناصرة ولکن ظهور هذه الحداثة فی شعره التوقیعی، «القصیدة القصیرة» أکثر بحیثُ استرعی نظر الباحثین. بدأ عزّالدین المناصرة فی منتصف الستینیات (۱۹۶۴)، کتابة هذا النوع الجدید من القصیدة القصیرة، مستفیداً من نمط الشعر الیابانی «الهایکو» و مزج بین بناء المورث «التوقیعات النثریة العباسیة» و لغة الحیاة الیومیة الهامشیة و شعریة التفاصیل.(کیانی،۲۰۱۰: ۲۵)

تجربة عزالدین المناصرة علامة مرکزیة من علامات الشعریة العربیة الحدیثة تمتد علی زمن یقارب الأربعین عاماً أو یزید فهو حتی الیوم مازال ممسکاً بجمرة الشعر(عبیدالله، ۲۰۰۶ :۱۷۹).

إنّ العاطفة المتّقدة فی القصیدة القصیرة تتحوّل إلی بلاغة یمکن أنْ نُسمیها« بلاغة العاطفة» کما یتحوّل الشّعاعُ إلی حرارة ملتهبة. والقصیدة الناجحة هی التی تجعلُ مثل هذه العاطفة تشعُّ وتفیض وتستمرُّ حتی بعدَ أنْ تصلُ إلی نهایتها أیْ أنّها تنتهی کبنیة قولیة ولکنّها تظلُّ تجدّد بثّها الشعریّ.

مع أنّ المناصرة یعاکس تیار الزّمان فی شعره، وهو ناجحٌ جداً فی قرض الشعر الحُرّ والتوقیعات خاصّةً لکنّهُ شدید التعلّق بالقافیة إذْ یبدو وکأنّهُ یستدعی أکبر عدد ممکن من القوافی فی القصیدة الواحدة، حتی یمکنُ أنْ یُطلق علیه لقب «الشاعر القافویّ الأوّل» فی الشعر الفلسطینیّ الحدیث.

۴-الحُبُّ و المقاومة

وبالرّغم مِنْ أنّ شعر المناصرة، حظی بدراسات کثیرة ومهمّة من بدایاته فی الستینات حتی الآن، إلا أن ثمة مناطق جمالیة غائرة فی طبقات عمیقة فیه ما تزال بحاجة إلی بحث و قراءة و استکشاف، ونحسبُ أنّ القراءة التی بینَ أیدینا تقدّم أحد الوجوه الجمالیة المشرقة

Archive of SID

www.SID.ir

لشعر المناصرة، ويعتقد الدكتور فيصل صالح القصرى أنّ على الباحثين أن يدرسوا آثار «المناصرة» من زوايا متنوعة ومتعددة ومجهولة. (القصيرى، ۲۰۰۶: ۵).

يرى المناصرة أنَّ لون الحُبّ أخضر، هذا النوع من الحب خال من كل شائبة ومن كل غشّ فهو حب خالص. وتوصيف الحب بلون الأخضر من مبتكرات عزّ الدين المناصرة.

كثيراً ما نجدُ شاعراً متيّماً وغزلاً يدخل معركة النضال ويقرض شعر المقاومة، وكثيراً ما نجدُ شاعراً ثورياً مناضلاً يميل إلى المحبّين والغزلين. لكنَّ شاعرنا عز الدين المناصرة، قد ألفَ بين الحب والمقاومة بعمق شديد، كأنَّ الحبّ يمده بالقوة فی ساحة النضال. وهو ناجحٌ فی هذه العملية. لأنه شخصية ديمقراطية متماسكة إذ يقول: «الديمقراطية هی أن تقهرَ نفسک عندما تكون قادراً على قهر الآخرين». (المناصرة، ۲۰۰۲: ۵).

يبدو أن نقطة الصلة بين أدب المقاومة و الحب هی الخلود، أدب المقاومة أدب له ديمومة، وهو أبدی مرتبط بفكرة الحرية و التعبير و التحديث فی كل زمان و مكان يحكمه قانون الجدليّة. و شاعرنا عز الدين شاعر الحب العميق فعندما سُئل: «يبدو أنک لا تطيقُ النّقاد؟» أجاب: «أنا أدعو النّقاد لقراءة أعمالی قراءة محبّة، فالحبّ والمعرفة العميقة هی جوهر الناقد الحقيقی، أنا لا أطلب ولم أطلب من أحدٍ أن يكتب عنی، ما أطالب به هو: القراءة العميقة والمحبة فقط لا غير». وقد تجلّت هذه العبقرية فی التأليف بين الحب والمقاومة فی كثيرٍ من قصائده ومقطوعاته وتوقيعاته وأشهرها: الحبّ لونه أخضر، وطنُ الآنسة سراب، توقيعات مجروحة، الردّ على الأحبة و.... . وهنا تقوم الدراسة بقراءة بعض هذه الأشعار بالتحليل.

الحبُّ لونُهُ أخضر
أتكسّرُ شوقاً لمّا يأتينی صوتُکَ فی
كلّ صباحٍ مسحورْ
أسمعْ خطواتک فوقَ الدّرج الحجریّ المكسورْ
طقطقةُ الكعب الأسود، رجرجة الخاصرةِ...
أزيز النّار
فی قلبی يخضرُّ العشبُ وتنهمرُ الأمطارْ
تتراقصُ فوقَ الشّجر البریّ – ارتدی
نحوی يا هذی الجنيّة
من جاءَ بوهج الغاب إلی نافذتی السحريّة
من جعلَ الشّجر البریّ يُعشعِش فی
زَمَنِ البارات السريّة(المناصرة، ۱۹۹۰: ۱۹۳).

Archive of SID

www.SID.ir

هذه القصیدة مِنْ خمسة مقاطع وتُظهر لنا المقدرة الفائقة للشاعر (المناصرة) فی الجمعِ بینَ عنصرین، هما المهارة الفنّیة فی شعر الحب استناداً إلی خبرته الطویلة، وتدفّق المشاعر و الأحاسیس تجاه تیّار المقاومة. امتزاج مظاهر الحبّ والمقاومة واضح فی کلّ هذه المقطوعات. یُخاطب الشاعر فی المقطوعة الأولی حبیبته، ومظاهر الحب هی: الشوق، القلب المخضرّ من الحبّ، انهمار الأمطار و رقصها فوق الشجر. مظاهر المقاومة منعکسة فی مشاکل الحیاة التی تنعکسُ فی الدّرج الحجریّ المکسور، الکعب الأسود، أزیز النّار، الشجر البریّ، وهی رموز مقاومة. و یُخاطب الشاعر فی المقطوعة الثانیة (العمّ ناظم)، و یراهُ الشاعرُ فی استامبول ،یحملُ الشمسَ ومصباحَهُ علی القیعان. وفی السّجنِ یقول: «**لو کنت شعاعاً یسحقُه اللیلُ القاتمْ لذبحتُ الفقر وأعدمت الحشرات فی هذا العالم**». یلقّن الشاعر (عم ناظم)، فی هذه الفقرة ما فی ضمیره من الآلام والأشواق. یری الوطنَ مغلولاً ومظاهر الحب فی هذه الفقرة هی: الشمس، المصباح، الشعاع، العاشق، الماء الأخضر، طیور الصیف، الأشواق والوشوشة، الدار الطیبة الأرکان، انتعاشُ الأرض وازدهارها فی سفح الجبل الحنون و ذبح الموت. مظاهر المقاومة ومشاکل الحیاة هی: القیعان، السّجن، اللیل القاتم، الفقر والحشرات، الوطن المغلول والعنب المغلول والکلمات الحمقی.

والشاعرُ فی المقطوعة الثالثة یجلسُ فی المطعم، کی یُلقی آلامه علی الطاولة الخرساء ویعبّر عن أحاسیسه المتألمة ویتأوّه و یتحسّر علی رحیل الأشیاء ومن إشفاق أمّه، ویبکی من صمت الأشیاء و الطاولة الخرساء. مظاهر الحبّ فی هذه الفقرة قلیلة، وهی: الأم، الصوت الرائع ومداعبة الکأس ومظاهر المقاومة والمعاناة هی: إلقاء الآلام، الطاولة الخرساء، نفث آهات الحزن، التواء الآهة کالتواء الثعبان علی حیطان المطعم، رحیل الأشیاء، الوقت القاسی وصمتُ الأشیاء.

المقطوعة الرابعة من قصیدة «الحبّ لونه أخضر»، تنقسمُ إلی قسمین. مخاطبة الشاعر فی القسم الأول، حبیبتُه المسمّاة بذات الکعب الأسود. یری الشاعرُ فیها الزرع الأخضر وسواد العینین، ویحبّها کالبحر الراحل نحو الشطآن الخضراء، ویحبُّها کالطفل المشتاق لثدیی سیّدة غابت فی الزمن السالف، یحبُّها کجائع أمسک بخبز ناشفٍ، یُحبّها کالسفر علی الغیم، یحبّها کدخول مطارات الغربة، کمؤمن لاقی ربّهُ، کامرأة ولّدتْ طفلاً بعد دُهور العُقم الخرساء، مثل سجینٍ قابلَ فی باب السجن حبیبته بعد قرارِ الإخلاء.

وفیً القسم الثانی من المقطوعة الرابعة، یخاطبُ الشاعرُ العمّ ناظم و یخبرهُ عن ظلم اللیل وظلامه وضجیج السّکاری وموتِ الشوق الأخضر فی قلب الشاعر. وفی الفقرة الأخیرة یبثُّ

Archive of SID

www.SID.ir

شكواه عن اجتماع الطهارة و القذارة فی مدينته و شعوره الحادّ بالمنفی، و يُعبّرُ عن تماسكه أمامَ زعازعِ الدّهر و يسأل عم ناظم و يقسم بالله أن لا يتركه وحده.

مظاهر الحب فی هذه الفقرة الطويلة هی: الزرعِ الأخضر، الشواطئ الخضراء، اشتياقُ الطفل لثديی أمّه، لقاء المؤمن ربّهُ، إنجاب المرأة طفلاً بعد دهور من اليأس، لقاء سجين حبيبَته، الشوق الأخضر و مظاهر المقاومة و المصاعب هی: الكعبُ الأسود، الجائع، الخبز الناشف، السفر علی الغيم، مطارات الغربة، العقمُ الخرساء، السجن والسجين، ضجيج السكاری، موت الشوق الأخضر، الغيم الأشقر، قعقعة العجلات، البحر المالح، مرافقة الأشواق والمراحيض، القدرُ المجهول، فرد منسیّ، دماء الفقراء المعجونة بالغربة والنفی، الوطن القاتل والمقتول و زعزعة الدّهر والآه.

يخاطب الشاعر فی المقطوعة الأخيرة، حبيبته يُظهر صمودها أمام العوائق، ومقاومَتها أمام العدوّ والمصائب والمصاعب ويقول:

لكنْ – يا سيّدتی – سأقول الحقّ ولو قصّوُا عُنقی:

الجنّةُ فی قلبی والفقرُ علی كتفی والصداُ...الأحمر فی سيفی(المناصرة، ۱۹۹۰: ۱۹۸).

يطلبُ من حبيبته أن تبارک الفقر الطاهر والصدق الأخضر. يطالبها بالاعتراف بأنّها أفضل منه، هو من تُراب وهی من خزفِ، وأخيراً يقسم الشاعرُ بكروم مدينته الخُضر، يقسمُ بالأشياء الحلوة فی صدره، يقسمُ بأبيه فی البستان يُقصقصُ أغصان الأشجار، يقسم بأمّه وهی تنسُجُ أشواقاً للغائب عن قاع الدار، ويقول:

أقسم يا غالية العينين ويا طاهرة...
الدّقاتْ
لن يفلت قلبی من عشقكِ حتی لو...
صرتُ رماداً مرميّاً فی آخر عمری
فلنذبحْ معاً الفقرَ علی كلِّ الجبهاتْ
حينئذٍ سأحبّک قبل الظهر وبعد الظهرْ
حينئذٍ سأراكِ علی سفحِ كروم مدينتنا،
سمراء وخضراء كصوتِ المُهر.
حينئذٍ يا غاليةً عندی
يتدفّقُ مِنْ قلبی بحر الشّعرْ(نفس المصدر: ۲۰۱)

يتجلّی التآلف بين الحبّ والمقاومة فی قصيدة «**وطن الآنسة سراب**»، وتظهر مظاهر الحب ومظاهر المقاومة أفضل من قصائد أخری. يتغلغل الشاعرُ فی هذه القصيدة بين الحبّ والمقاومة، فلهذا نری عاطفتين سائدتين فی هذه القصيدة: عاطفة الحب من جهة وعاطفة

Archive of SID

www.SID.ir

الاستكراه من جهة أخرى. هو محبُّ وطنه و محبُّ أبناء وطنه، كرامتهم و تقدّمهم. يحبُّ شعبه وتاريخه العريق وثقافته الراقية و يعانى من مشاكل الحياة الناتجة من كيد الأعداء وتعديهم على كرامة أبناء وطنه. فقد فهم الشاعر حقَّ الفهم أن العدوّ هو باعثٌ للتفرقة والتشتُّت، باعثٌ للفقر و المجاعة و هو قاتل العاطفة و المحبة.

تتألف هذه القصيدة من ثلاث مقطوعات، المقطوعة الأولى هى:

أتأرجح بين الحبِّ وبين السيفْ
يتوردُ فى الشارع وجهى
وأنا أفتح فاهى لذباب الصيفْ
أقرأ لافتة عن بيعٍ لعيون حبيبى وشراء
أسقط فى مجرى الماءْ
لا تسألْ عن (كيف)؟!
هذا وطنُ الأحباب
يقطعُ وجهى
وأنا أعبرُ أسوار النهر الأبيض، أحملُ فى
كفّى تاريخى: جعجعةً وكتابْ(نفس المصدر:۵۳).

وقصيدة «**الردّ على الأحبّة**» يحملُ عنوانها طابعاً عاطفياً محضاً ويوحى باستمرارية التواصل من خلال وسيلة تبليغ أو اتّصال بين الشاعر وأحبّته، وفى الغالب تكون الرسائل الوجدانية هى هذه الوسيلة التى تديم الاتصال. يقول الشاعر:

لو أنّنى قمرٌ فى الشامِ مرتحلٌ
لو أننى قمرُ
لو أننى حجرٌ فى الشامِ منغرسٌ،
لو أننى حجرُ
لو أننى قمرٌ لو أننى حجرٌ لو أننى جبلٌ،
لو أننى سُفنُ
لكننى فى بلادِ الرومِ منزرعٌ
أبكى على وطن قد خانَهُ الوطنُ(نفس المصدر:۵۳).

يعتمد بناء القصيدة على أسلوبِ المقاطع الشعرية المتتابعة التى تقدّم فى نهاية المطافِ، جوّاً شعورياً واحداً هو الإحساس الحادّ بقسوة تجربة المنفى والشوق إلى الوطن والتمسّک بالثوابت الشرعية. إنّ رغبة الشاعر فى الاتصال بالوطن إلى حدّ التماهى معهُ، ليكون ولو

Archive of SID

www.SID.ir

جزءاً من بنيته التكوينيّة هو تأكيد لأصالة الانتماء لديه إلى هذا الوطن. التآلف بين عناصر الحبّ والمقاومة لا يختصُ بالقصائد والمقطوعات، فتوقيعات (المناصرة) حافلة بعناصر الحبّ والمقاومة. على سبيل المثال:

فمِنْ أجلِ غزلانِ (وَجْرةْ)
غداً أدخلُ الحربَ أوّل مرّة
رحلتَ وحمّلتَني عبء هذا النبأْ
رحلتَ وحمّلتني عبء هذا النبأ! (نفس المصدر: ۱۸)

وأخرى:

وبكيتُ فوقَ الجسرِ بينَ القُدسِ فالوادی السحيقْ.
وصرختُ مِنْ يأسی ومِنْ طولِ السّفر
لو ماتَ فارسُكِ المجيد وماتَ ناطور الشّجر
فأدفنْ عظامی...يا حبيبی...
تحتَ كرمتنا على الجبل العتيق(نفس المصدر:۲۱).

بعدَ التأمّل فی عدّة توقيعات، تبين أنّ الشاعر استخدم هذا النوع من القصيدة استخداماً شعرياً جديداً؛ لأنّ مصطلح «التوقيعة» عندهُ منذ الوهلة الأولی يمنحنا الدهشة ويُوقظ فينا التساؤلات، يُجبرنا على ولوج عالم الشاعر وهو يسلك مسلك الحبّ والمقاومة، كما يبقی مُنبّهاً مستمراً لوجدانياتنا، كلّما أعطيناها تفسيراً معيناً ومقنعاً من الناحية الوجدانية، عادتْ تلحّ علينا إمكانات جديدة لتفسيرها فی مستوی آخر. وهكذا تتمدّد وتتوالد باستمرار وتضفی على عواطفنا الخصب والثراء، بل وحتّی عندما يبدو لنا ظاهرياً أنه يستخدم لغة الحياة اليومية المألوفة فی التوقيعة، فإنه فی الواقع لا يستخدم الألفاظ فحسبُ بل إنّ هذه الألفاظ نجدها قد خضعتْ لقالب جديد فی مجالی الحُبّ والمقاومة.

لا يستسلم عزّ الدين المناصرة وهو يواصل المقاومة الرائدة، يتطلع لكلّ حُبٍّ بل يحدّد مصيره فی طريقه إلى المثل العليا. يقول فی توقيعة:

الحُبُّ الأعمی...سيّدنا
والعشقُ الحقُ...سكوتْ
مِن كثرة تكليمی نفسی يا حبّی
أوشكتُ أموت(نفس المصدر:۲۳۷).

وأحياناً يشكو الحُبَّ مِنْ ظلم الأعداء وبشاعتهم ويقول:

قلبی من بلدٍ...وحبيبی مِنْ بلدٍ آخر
لكنّا نتقابل فی بحر الأيّام

www.SID.ir

شنقونی یا حبّی...ما سألونی شیئاً
قبلَ الإعدام(نفس المصدر).

ولأجلِ الحفاظ على هویّته الأصیلة فی المقاومة الرائدة یفرّقُ بینَ الحبیب الحقیقی، والآخر المزیّف. وطبعاً هو مِن أصحاب المنفی والغربة والفقر. تستقبلُ منهُ حبیبتُهُ طیّبةُ الأنفاس، الشخصُ الرابع، کالرابعة العدویّة العارفة، لا ولن یحکی عنها، ولا یقدّمها إلی الناس یخشی أن تعلکها ألسنة الناس. یقول:

أحببتُ ثلاثاً وحلفتُ: أتوبْ
الأولی قالتْ: آه
لنْ أذهبَ للمنفی فی بحرٍ لا تسکنه الأسماکْ
أحببتُ ثلاثاً وحلفتُ: أتوبْ
الأخری کانتْ تعشقُ جیبی المثقوبْ.
الثالثة السّمراء قالتْ: أهواکْ
لا...أنتَ غریبْ
أمّا الرابعة، الرابعة ُ الطیبة الأنفاسْ
أهِ سأحکی لکِ عنها...کانتْ
رائعة الإحساسْ
کانتْ...لا، لنْ أحکی...أخشی
أنْ تعلکها ألسنة الناسْ(نفس المصدر:۲۴۱).

تلک الحبیبةُ هی التی نافذتُها خضراء، زرقاء والشاعرُ یتماسک أمام المصاعب ویناجی شجر الغربة الذی هو عطشان مثله فی الصحراء. یقول:

نافذة حبیبی زرقاءْ
یا شجر الغربة نحنُ عِطاش مثلک فی
هذی الصّحراءْ
والعشّاقُ اصطفّوُا للصلواتِ الخمسِ
أمام السیّدة العذراء
نافذة حبیبی – قالوا لی – خضراء(نفس المصدر:۲۴۵).

یقولُ عز الدین فی واحدة من قصائد دیوانه «**بالأخضر کفّناهُ**» قصیدة: (**ألا هلا یا حبیبی**)؟

حبیبی، حبیبی
وضمّتهُ، ضمّتهُ حتی البکاء:

Archive of SID

www.SID.ir

دزيتلو مكتوبْ
طَوَّلْ وما جانى يوما
طوَّلْ وما جانى(نفس المصدر:۳۲۹).

فى قصيدة «**ألا هلا يا حبيبى**» نجدُ ممارسة الفعل الثوريّ مجسّدة فى الحياة اليومية للإنسان الفدائيّ من خلال التوغُل فى الكشف عن نفسياتِ هذه الفئة. (بعلى، ۲۰۰۵: ۲۵). وبالمقابل ينتقل الشاعر إلى تعرية الوسط المحيط بالرقعة، حيثُ يتواجدُ أولئک الفدائيون. تلک التعرية التى تكشف عن الأفراح والأحزان والخوف الذى يسكن مفاصل المحيط. واستعمل الشاعر المناصرة فى هذه القصيدة أسلوب الاسترجاع حيثُ حفر فى ذاكرته الموشومة تلک الذاكرة التى طوحت بها أيّامُ الغربة وأزمنة الشتات. فترسبتْ فيها بقايا لهجة شعبية جزائرية زمن تغريبة الشاعر الكنعانيّ عز الدين المناصرة. تجرى هذه اللهجة على لسان العاشق المقاتل بهذا المنوال والموال الشجيّ الأحمر.

وفى قصيدة: «**كان الصيفُ موعدَنا**»، كان الشاعر يتوقعُ الانتصار على الأعداء الغاصبين فى فصل الصيف ولكن ما تمّ ذاک الانتصار.، فى هذه القصيدة تآلف الحُبّ والشوق المتزايدين، والمقاومة بهموم الغربة السوداء التى تضعف قواهم، واضحٌ هو مشتاق إلى وطنه الحبيب، كى يرجع إليه ويقصّ عليه ما لاقاهُ من قسوة الزّمن. يقول:

...وكان الصيفُ موعدنا
وكانت فى عيونک بسمةٌ تجلو
هموم الغربة السوداء
حليبُ الشوق فى الأثداء
إلى عينيک يرفعنا
ألا يا حلوة العينين لو تدرينَ،
أن الكلَّ يجحدنا
وأنّ الغربة السوداء قد أدمتْ سواعدنا
ومرّ الصيفُ، مرَّ الصيفُ، كان الصيفُ موعدنا
جيوشُ الشوق...ما مرّتْ وأحبابک
مضتْ سنتان...ما دقّوا على بابک
ومَنْ يدرى أيرجعُ عطفک الغامر
وتستمعينَ للشاعر:
أقصُّ عليک ما لاقيتُهُ من قسوة الزمنِ
وعنْ شوقى إلى وطنى

Archive of SID

www.SID.ir

ومرّ الصيفُ، مرّ الصيفُ، كانَ الصيفُ موعدُنا(المناصرة، ۱۹۹۰: ۶۷-۶۸).

وفی قصيدة: «**الحاكم بأمره**» يتكلّم عن الحُبّ والمقاومة ويمزجُ بينهما. يعشق الليل وهو سهرانُ يرعى النجوم ويرقبُ نجمة الصبح ويبحثُ عن أحبّائه فی جوفِ الليل ولا يرى منهم سوى الجراح. وفی الفقرة الأخيرة من هذه القصيدة يخاطب الجبل و يُسمّيه «الخلّ الوحيد» ويقول لهُ:

سأبحثُ عک فی الوادی وفی القمّة
متی تأتی، متی تأتی
تخلّصُ هذه الأمة؟!(نفس المصدر: ۱۵۸)

اشتهر المناصرة بديوانه يا عنب الخليل و هو الديوان الذی يستبطن روحاً شعبية غنية، أشبه بنداءات الباعة فی السوق...فنقل النداء إلی معنی شعری ممتد يرتبط بالتعبير عن فقد الوطن و التعلق به حتی صار عنوان حنين و حب و تعبيراً عن التجربة الفلسطينية و عن الخليل و الفلسطين كلّها(عبيدالله، ۲۰۰۶ :۱۸۰) صارت هذه القصيدة إضافة إلی غناها الجمالی، كما لو كانت إحدی وثائق المقاومة الشعبية و صارت جملها أشبه بعناوين راسخة للوعی المقاوم و نستطيع أن نلمس فيها الحس العميق بالأرض، إنسانها و نباتها و روحها، فالمعجم النباتی مثلاًمن أوضح عناصرها و حقولها الدلالية و يتداخل معه الحس الشعبی المساعاد، الذی يمنحها حيويتها الجماعية، كما يكسر شيئاً مع غنائيتها أو يدفعها إلی مساحة(الغنائية السردية) و هی مساحة سيوسعها المناصرة لاحقاً مع تجارب السنوات اللاحقة(نفس المصدر: ۱۸۱-۱۸۲).

يطلبُ الشاعرُ فی هذه القصيدة مِنْ عنبِ جبل الخليل فی فلسطين كی لا يثمر ويكون سمّاً للأعداء. فی الفقرة الثالثة من هذه القصيدة، يخاطبُ الدالية الخليلية، كما لو كانت شقيقته:

سمعتكِ عبر ليل الصيف، أغنيةً خليليَّة
يعزُّ علیَّ أن ألقاكِ مَسْبيَّة.

ويختتم قصيدته بتوقيعة تقول:

خليلی أنت يا عنب الخليل الحرّ لا تثمر
وإنْ أثمرتَ، كن سُمّاً علی الأعداء، لا تثمر(المناصرة، ۱۹۹۰: ۱۳-۱۴).

النتيجه

- مفهوم شعر المقاومة لا يختص بزمن محدَّد، بل هو جار فی كل الأزمنة وهو كل عمل أدبی يسهم فی تربية وجدان الناس علی رفض المظالم، والانحياز إلی كل ما من شأنه أن يرفع من قيمة الإنسان ويساعده علی تعزيز كرامته. وبالتالی، فهو مفهوم إنسانی عالمی.

Archive of SID

www.SID.ir

– قدّم عز الدين المناصرة أشعاراً كثيرة لأمته العربية، بعد أن قدّم مواقفه النضالية من أجل وطنه فلسطين، وعمل فی مجال نقد أدب المقاومة ذاهباً إلى أن الاهتمام بالتاريخ فی شعر المقاومة غلب على دراسته وكان يطلب من النقاد بنقد نصی.

– كان للمناصرة دور ريادی فی الحداثة الشعرية، وظهر هذا الدور فی شعره التوقيعی (قصيدة التوقيعة) أكثر بحيث استرعی نظر الباحثين.

– توصيف الحب بلون الأخضر هو من مبتكرات عز الدين المناصرة، ويرى أن لون الحب أخضر، وهذا النوع من الحب خال من كلّ شائبة ومن كلّ غشّ فهو حب خالص. وتجلت عبقرية الشاعر فی التأليف بين الحبّ و المقاومة بشكل عميق، بعيد عن شعار: (سأقاوم!)، فی كثير من قصائده ومقطوعاته وتوقيعاته.

مراجع و المصادر

۱– أبو سليمان، خالد. (۱۳۷۶). «**فلسطين وشعر معاصر عرب**»، تهران: چاپ أول، نشر چشمه.

۲–أم لجين، م؛ «**نظرة سريعة ومختصرة جداً عن الأدب الفلسطينی**»، مأخوذة من الموقع التالی المؤرخ. ۲۰۰۹/۹/۹.
http://www.paldf.net/forum/showthread.php?t

۳–البابطين، عبد العزيز السعود. (۲۰۰۲). «**معجم البابطين، للشعراء العرب المعاصرين**»، الطبعة الثانية، الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعری.

۴–بعلی، حفناوی. (۲۰۰۵). «**شعرية التوقيعية...فی شعر عز الدين المناصرة**»، مجلة الموقف الأدبی، العدد ۴۱۳، أيلول. www.awu-/۴۱۳/modf۴۱۳–۰۰۲ .htm
dam.org/mokifadaby

۵–السكوت، حمدی. (۲۰۰۹). « **قاموس العربی الحديث**»، القاهرة: دار الشروق.

۶–السموری، محمد. «**قراءة فی أدب المقاومة العراقية**»، مأخوذة من الموقع التالی المؤرخ ۲۰۰۶/۹/۱۴. ۴۸۲۹
http://www.Diwanalarab.com/spip.php?article

۷–عبيدالله، محمد.(۲۰۰۶).«**شعرية الجذور، قراءات فی شعر عزالدين المناصرة**»، الأردن: دار مجدلاوی للنشر والتوزيع، ط۱.

۸–القصيری، فيصل صالح. (۲۰۰۶م). «**بنية القصيدة فی شعر عز الدين المناصرة**»، الأردن: دار مجدلاوی للنشر والتوزيع.

۹–كيانی، حسين و سيد فضل الله ميرقادری.(۲۰۱۰). «**الومضة الشعرية و سماتها**»، مجلة اللغة العربية و آدابها، العراق: جامعة الكوفة، العدد التاسع.

Archive of SID

www.SID.ir

۱۰- مجموعة من المؤلفین.(۲۰۰۳). «**دراسات فی الأدب الفلسطینی**»، القدس: منشورات جامعة قدس المفتوحة.

۱۱- المناصرة، عز الدین.(۲۰۰۲م). «**إشکالیات قصیدة النثر**»، بیروت: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر.

۱۲- .....، ..... (۱۹۹۰م). « **الأعمال الشعریة**»، بیروت: دار العودة، ط۳.

Archive of SID

www.SID.ir

فصلنامه‌ی لسان مبین(پژوهش ادب عربی)
(علمی – پژوهشی)
سال سوم، دوره‌ی جدید، شماره‌ی پنجم، پاییز ۱۳۹۰

عز الدین مناصره شاعر عشق و پایداری*

دکتر حسین کیانی
استادیار دانشگاه شیراز
دکتر سید فضل الله میرقادری
دانشیار دانشگاه شیراز

چکیده

عز الدین مناصره از شاعران دهه‌ی شصت ادبیات مقاومت فلسطین در سال ۱۹۴۶م. در «الخلیل» متولد شد. در فلسطین، اردن، لبنان، مصر، تونس و الجزائر به تحصیل و فعالیتهای علمی پرداخت. او علاوه بر شعر، آثار دیگری در زمینه‌ی نقد ادبی، هنرهای تجسمی و سینما دارد و در کنار شخصیت ادبی از شخصیتی سیاسی نیز برخوردار است. از آن زمان که مجموعه شعر او با عنوان:«صبر ایوب»(۱۹۹۶) به زبان فارسی ترجمه شد، مجامع علمی ادبی ایران او را به عنوان شاعری جهانی می‌شناسند.

اگرچه پژوهش های فراوانی در مورد شعر عزالدین مناصره از همان ابتدای حضورش در میدان شعر و شاعری در ادبیات معاصر عربی تا کنون نوشته شده است، ولی هنوز جنبه های زیبا شناسی شعر این شاعر قابل بررسی است. بعد از مطالعه و تأمل در شعر شاعر روشن گردید که شاعر بین نوآوری در شعر و مقاومت از یک سو و بین شعر مقاومت و عشق از دیگر سو سازگاری ایجاد می کند؛ به گونه ای که هرگاه سخن از مقاومت و پایداری و سختی های آن به میان می آورد، از عشق نیز سخن می گوید. و همواره از نظر مفاهیم و ترکیبات شعری از نوآوری غافل نبوده و از ساختار جدید توقیعات برای بیان دیدگاه دراین زمینه خود بهره می گیرد.

این پژوهش برآن است تا به بررسی ویژگی شعر شاعر بپردازد و رابطه ی بین شعر مقاومت و پدیده‌ی نوآوری و رابطه‌ی عشق و مقاومت را واکاود.

واژگان کلیدی

عز الدین مناصره، شعر مقاومت، فلسطین، عشق، نوگرایی.

* – تاریخ دریافت مقاله: ۱۳۸۹/۱۰/۱۵ تاریخ پذیرش نهائی:۱۳۹۰/۰۵/۲۰
نشانی پست الکترونیکی نویسنده: hkyanee@yahoo.com

Archive of SID
www.SID.ir